مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ISSN: 1112-4628, EISSN: 2588-2449
مجلد : 22 عدد 1 السنة :2023

جهود الفقيه عبد الرحمن الوغليسي (ت786هـ/1384م) في محاربة الانحراف السلوكي "سفور النساء أنموذجا".

Efforts of the jurist Abd al-Rahman al-Wuglisi (d. 786 AH / 1384 CE) in combating behavioral deviation: "Unveiling women as a model."

فعاليات الملتقى الوطني الموسوم بـ:

"جهود علماء الغرب الإسلاميّ في معالجة الآفات الاجتماعية"

مخبر البحث في الدراسات الأدبية والانسانية كلّية الآداب والحضارة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة.

يومي الاثنين والثلاثاء 25-26 شوال 1444 هـ الموافق لـ 15-16 ماي 2023م

•**اسم ولقب المؤلف الأول: د. البشير بوقاعدة**

الدرجة العلمية والعنوان المهني: دكتور من **جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2**

البريد الإلكتروني المهني:bougaadabachir@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: ../../2023 تاريخ القبول: ../../2023. تاريخ النشر: 20/05/ 2023

الملخص:

تتوخى هذه الورقة البحثية بالدراسة والتحليل معالجة اشكالية جهود أحد فقهاء وعلماء بجاية وهو الشيخ عبد الرحمن الوغليسي (ت786هـ/1384م) في محاربة الانحرافات السلوكية التي سادت الوسط الاجتماعي البجائي بشكل خاص والمغرب أوسطي بشكل عام، وكانت مسألة سفور النساء هي الأنموذج الذي أخضعناه للمعاينة البحثية والفحص بشكل مركز. إذ كما هو مثبت في متون النص المصدري أنه سادت بالوسط الاجتماعي البجائي كغيره من الأوساط الاجتماعية ببلاد الغرب الاسلامي مظاهر سلوكية

مشينة، وانحرافات أخلاقية متعددة كان لبعض النسوة نصيب فيها كضحايا أو متسببات في إشاعة الفتنة وتغذية الفساد.

وكان ملاذنا لمعاينة جهود الوغليسي التطبيبية لأمراض مجتمعه الخُلقية والتربوية بما في ذلك مسألة السفور، وتحديد مظاهرها، ومعاينة بصمته في ذلك المسعى؛ هي فتاويه التي احتفظ بها النص الفقهي النوازلي، وأسلوبه التدريسي المنتهج للتربية والتعليم، ومصنفاته التي أنتجها، وخطابه المسجدي ونشاط الإمامة.

الكلمات المفتاحية: الواغليسي؛ نحيف؛ يعالج؛ الفتوى، الكشف.

Summary:

This research paper intends, through study and analysis, to address the problematic efforts of one of the jurists and scholars of Bejaia, Sheikh Abd al-Rahman al-Wuglisi (d. 786 AH / 1384 CE) in combating the behavioral deviations that prevailed in the Bejai social milieu in particular and in the Middle Maghreb in general. Concentrated. As it is proven in the text of the source text that there prevailed in the Bejai social milieu, like other social milieus in the countries of the Islamic West, disgraceful behavioral manifestations, and multiple moral deviations in which some women had a share as victims or as causes of spreading sedition and feeding corruption. It was our refuge to examine the medical efforts of Al-Woglissi for the moral and educational diseases of his society, including the issue of unveiling, identifying its manifestations, and examining his imprint on that endeavor. They are his fatwas that were preserved by the Nawazli jurisprudential text, his teaching method used for education and education, his works that he produced, his mosque discourse and the activity of the imama.

key words: alwaglisi; Women; processing; Fatwa, unveiling.

المقدمة:

تتأسس رؤية صاحب هذه الورقة البحثية لمعالجة اشكالية بحثية لا تنفصم عن روح المشكلات التي طرحها القائمون على الملتقى الوطني الموسوم بـ: جهود علماء الغرب الاسلامي في معالجة الآفات الاجتماعية، على قناعة شخصية مفادها: أنّ دراسة جهود نخب العلم ببلاد الغرب الاسلامي بشكل

معمق وملامسة مدى حضورهم في ميدان المواجهة وتطبيب أوجاع الواقع الاجتماعي بشتى تمظهراتها وألوانها، يسترعي تسليط الضوء على جهود كل شخصية علمية من شخصيات المجال الجغرافي المذكور، بشكل منفرد عن غيرها، بصفة دقيقة ومركّزة. ذلك أنّ الإحاطة المثلى بجهود كل شخصية من شخصياتها والتطويق الشامل لمكانتها في معالجة قضايا عصرها في حدود اختصاصها ومجال اهتمامها، من شأنه أن يمنحنا صورة متكاملة عن طبيعة ذلك الدور التطبيبي، ومستوى الحضور في ميدان المعالجة والمواجهة، ويحيلنا على خريطة مفصّلة عن الهوية العلمية للشخصيات الفاعلة في الحقل الاجتماعي ومكانتها في المخيال المجتمعي.

في ضوء هذا المرتكز، واستئناسا بديباجة الملتقى الوطني حول "جهود علماء الغرب الاسلامي في معالجة الآفات الاجتماعية" الذي تؤطره جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية بقسنطينة، وتجاوبا والإشكالية التي ينشدها القائمون عليه، وفي ضوء المحاور المقترحة على أهل البحث، آثرنا في هذه الورقة البحثية ملاحقة جهود الشيخ عبد الرحمن الوغليسي (ت786هـ/1384م) في محاربة الانحرافات السلوكية التي سادت الوسط الاجتماعي في زمنه، وقد انزوينا بشكل مركّز ناحية مظاهر سفور النساء، نتلمس فتاويه في هذا الشأن ورؤيته التطبيبية لهذا الواقع، وبصمته في مجابهته.

وهي محاولة للكشف عن جوانب من مظاهر سفور النساء في بلاد الغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط التي أفصحت عن واقع الانحراف السلوكي والفساد الأخلاقي الذي تعدّدت أسبابه، وتباينت انعكاساته على النسيج الاجتماعي زمنئذ، من جهة، ومن زاوية ثانية، تسليط الضوء على جهود هذا الشيخ في سبيل الحدّ من هذه الظاهرة المشينة، ومحاربتها؛ بما يمنحنا صورة مضيئة عن جهود المجابهة التي اضطلعت بها نخب العلم –التي من ضمنها دور عبد الرحمن الوغليسي– في تطبيب أوجاع المجتمع الخُلقية خاصة فئة النساء، وتقويم سلوكه، وتهذيب أفعاله.

1. بطاقة عن هوية الوغليسي الشخصية والعلمية[1]:

[1]– وهناك من علماء بجاية من يعرف كذلك بالوغليسي؛ وهو الشيخ الفقيه الخطيب القاضي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الوغليسي، أحد العالمين بالكتابتين الأدبية والشرعية والمتقدمين فيهما. عاش خلال القرن السابع الهجري (13م). انظر بشأنه: الغبريني أبو العباس أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص282.

نروم في هذه المحطة من البحث، التعريف بشخصية الوغليسي بشكل موجز؛ حتى تكون لدينا بطاقة عن هوية هذه الشخصية العلمية والذاتية، والتي من شأنها أن تمنحنا الإضاءة الكافية عن سمعته العلمية ومؤهلاته المعرفية ومكانته الاجتماعية، وهو ما يخدمنا بشكل أساس حين نعكف على دراسة جهوده التطبيبية في معالجة الآفات الخُلقية التي سادت أوساط شريحة من المجتمعات التي عاصرها، ومن ضمنها آفة سفور النساء. فمن يكون يا ترى الوغليسي؟ ومتى وُلِد؟ وأين نشأ؟ وعلى يد من درس؟ وما أبرز منتجاته وآثاره العلمية؟.

1. 1 النسب والمولد:

الوغليسي[1]: هو أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله الزواوي أحد مواليد الحاضرة البجائية، وواحد من شيوخها المشهورين والبارزين في عصره[2].

بشأن تاريخ ميلاد هذا الشيخ لا تسعفنا المادة التراجمية التي خصته بترجمة لسيرته الذاتية واحتفظت بروايات عن حياته العلمية والاجتماعية عن تاريخ محدّد يفصح عن السنة التي ولد خلالها، مع إلماع النظر إلى أنّ الأخبار التي طرقت سيرته هي في حقيقتها جدّ شحيحة ومقتضبة. أما بخصوص تاريخ الوفاة فإنّ المادة المصدرية تكاد تجمع على أنّ سنة 786هـ/1384م هي تاريخ وفاته وتكاد تتفق على ذلك[3].

1. 2 نشأته العلمية:

في ظل الشح الخبري الذي تصطبغ بها المادة التراجمية التي احتفظت بنتف من الروايات عن حياة الوغليسي، نجد صعوبة بالغة في عرض -ولو موجز- عن مسار نشأته العلمية والاجتماعية. فالنص

[1]- الوغليسي: نسبة إلى بني وغليس؛ وهو بطن من بطون القبائل الأمازيغية القاطنة في جنوب بجاية بأعالي وادي الصومام. راجع: نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1400هـ/ 1980م، ص266. وقيل أيضا أنّه نسبة إلى منطقة بني وغليس الواقعة جنوب مدينة بجاية.

[2]- التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم، عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج2، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ليبيا، 1398هـ/ 1989م، ص248. راجع كذلك: ابن مخلوف محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه، عبد المجيد خيالي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، ص342، بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، مجلة حوليات التراث، العدد07، جامعة مستغانم، الجزائر، 2007، ص83.

[3]- التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص248. راجع كذلك: ابن مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص342، بلميهوب حفيظة، من أعلام حاضرة بجاية في القرن الثامن الهجري الإمام أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي (ت786هـ/1384م، مجلة الثقافة الاسلامية، العدد15، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1438هـ/2017م، ص123.

التراجمي يكتفي بِنِسبة هذا الشيخ إلى مدينة بجاية، وتحديدا إلى عرش "آث وغليس" المتواجد بالقرب من بلدية سيدي عيش بولاية بجاية حاليا. وهي المنطقة التي بها وُلِد وترعرع. وبهذه المنطقة، تلقى كذلك تعليمه، وجالس أعلامها بزواياها ومدارسها ومساجدها[1].

ولقد سهرت أسرة الوغليسي على تربية ابنها على قيم الدين الاسلامي، وتنويع مشارب تكوينه العلمي والمعرفي، حتى بات واحدا من علماء وفقهاء عصره اللامعين، المشهورين بالصلاح والتقوى[2].

1. 3 شيوخه ومدرِّسوه:

درس الوغليسي على يد أشهر شيوخ زمانه، وأعمدة العلوم الدينية والصوفية الذين عاصرهم، ومن أبرزهم، ما نذكره في العرض الموالي:

- الشيخ الفقيه الصوفي أبو العباس أحمد بن إدريس البجائي الأيلولي المتوفى بعد سنة 760هـ/1460م[3]. وهو كبير علماء بجاية في عصره، وأحد أبرز زهادها والمحققين بها. وطبيعي أن يستفيد منه كثيرا تلميذه الوغليسي وهو واحد قطره في حفظ مذهب الإمام مالك، والمتفنن في المعارف والفنون، والجامع بين العلم الغزير والدين المتين[4]. فقد درس على يديه العلوم الدينية والصوفية، ويحتمل كما يراه أحد الباحثين- أنه درس على يديه كتبه في مجال التصوف ككتاب "المسلسل بالأولوية"، وكتاب "مصافحة المعمرين". ولا يستبعد حينها أنّه تأثر بتجربة شيخه التعبدية ومنهجه التصوفي الذي عاينه عن كثب من خلال مجالسته له خاصة في طريقة مجاهدته لنفسه وتعاهدها بالصبر والملازمة لألوان الطاعة والاجتهاد فيها كالصيام والقيام والإنفاق، وأنّ شيخه ترك بصمته التصوفية -من خلال مؤلفاته التي درسها على يديه- في حياته العلمية، وفكره التصوفي، ونظرته للحياة التعبدية ومنهجها[5].

---

[1]- التنبكتي، المصدر السابق، ص248، ابن مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص342، بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص125.

[2]- بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص126.

[3]- ابن مخلوف، المرجع السابق، ص342.

[4]- ومن مؤلفاته: شرح على ابن الحاجب، التنبكتي، المصدر السابق، ص99. راجع كذلك: الحفناوي محمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيير فونطانة، الجزائر،1324هـ/ 1906م، ص30-31، بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص126.

[5]- الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص30-31، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص342، بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص89.

– أحمد بن عيسى بن سلامة البجائي. وهو كذلك أحد أشهر فقهاء بجاية وعلمائها البارزين، المعاصرين لطبقة العالم والفقيه أبي العباس أحمد البجائي. تتلمذ على يديه الوغليسي وأخذ عنه معارف وعلوم متعددة[1].

1. 4 تلامذة الوغليسي وطلبة العلم على يديه:

كان الوغليسي بحق مدرسة فقهية بجائية؛ تخرَّج منها العديد من الطلبة، واستفاد منها جمع غفير من التلامذة والمتعلمين، منهم من بلغ مراتب سامية في العلم ونال السؤدد به. وفي الوقت الذي لا يمكننا رصد وإحصاء جملة من تتلمذ على يديه وأخذ العلم عنه وارتاد مجالسه العلمية بشكل دقيق ووافٍ في هذه الورقة البحثية؛ لأنّ تقصِّي ذلك ليس من صميم اشكالية البحث الرئيسة، فلا بأس من ذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر. ومنهم:

– أبو عبد الله محمد بلقاسم بن عبد الصمد الزواوي (المشدالي أصلا). وهو من بين أبرز فقهاء بجاية وعلمائها في عصره، ومن حفاظ المذهب المالكي والضالعين في فقهه، وممن حازوا شرف الإمامة والفتيا بها. ومن آثار هذا الفقيه العلمية: تكملة حاشية الوانوغي على المدونة، ومختصر البيان والتحصيل لصاحبه ابن رشد. وقد أخذ بحظ وافر من الدراسة على يدي الوغليسي وملازمة مجالس علمه[2].

– محمد بن عمر الهواري. وهو عالم وهران وفقيهها البارز، وأحد أشهر زهادها وأتقياءها. وصيت هذا العالم والشيخ ذائع شرقا وغربا، وبريق مكانته العلمية يلمع بشكل لافت في عصره. وهو ممن تتلمذ على يد الفقيه الوغليسي، واستفاد من الجلوس بين يديه لطلب العلم والتزود بالمعارف. وبديهي أن ينال الوغليسي حظا مما بلغه تلميذه محمد الوهراني من مراتب وسؤدد بالعلم في الدين والدنيا؛ نظير الحرص الذي كان هذا الفقيه يوليه أهمية كبيرة في سبيل تعليم طلبته وتكوينهم تكوينا علميا متينا، ويكون له الفضل الكبير في بلوغهم ذلك[3].

---

[1]– التنبكتي، المصدر السابق، ص100. راجع كذلك: بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص128.

[2]– التنبكتي، المصدر السابق، ص248. راجع كذلك: بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص128.

[3]– ابن صعد، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الفضل الأنصاري التلمساني (ت901هـ/ 1496م)، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مراجعة وتحقيق يحي بوعزيز، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، 2002، ص51. راجع كذلك: بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص129.

- أبو الحسن علي بن عثمان[1].

حاصل القول، في هذه المحطة البحثية، أنّ للمكانة العلمية التي باتت تتمتع بها حاضرة بجاية، والصيت الذائع لمنزلتها العلمية؛ بفضل المقومات التي تحوزها على غرار توفر مؤسسات العلم والدراية، واتساع حدود دائرة أهله وفي طليعتهم علماء الفقه؛ فقد كانت بجاية مقصدا يرتاده طلبة العلم، ويلفت نظر رواده من مختلف الأقطار الاسلامية مغربا ومشرقا، وليس بغريب ذلك، فسمعة حاضرة بجاية كإحدى الحواضر العلمية المستقطبة بلغت الآفاق حينها. لذلك بديهي أن تكون مجالس العلم التي يعقدها الفقيه الوغليسي عامرة بالطلاب، وحضور حلقاته مكثفا.

2. مكانة الوغليسي العلمية وإسهاماته في الحياة المجتمعية:

الوغليسي هو أحد أعمدة الفقه ببجاية وبلاد المغرب الأوسط، وقطب من أقطاب التصوف بها، وشخصية من شخصياتها الثقافية والفكرية الشهيرة[2]. ومن بين ما يشفع لهذه المكانة العلمية، ويشهد بعلو كعبه في مراتب العلم والمعرفة، ما نورده في النقاط البحثية الموالية:

– ذهب البعض من أصحاب الدراسة التاريخية التي خصت حياة الوغليسي بترجمة لمساره الحياتي ومنحنى سيرته الشخصية، إلى أنّه أحد الفقهاء والأصوليين والمفسرين البجائيين، الذين أسسوا مدرسة فقهية، سبقت تلك التي عرفتها الحاضرة التلمسانية خلال العهد الزياني[3].

– ولعلّ من بين ما يزكّي مكانة الوغليسي العلمية الرفيعة، وينطق بقوة حضوره في الوسط العلمي والثقافي والاجتماعي، بالإضافة إلى الرصيد العلمي الذي تضمّنه كتابه "الأحكام الفقهية"، الرصيد البشري الذي أنتجه؛ ونقصد بذلك الطلبة الذين تخرجوا على يديه، من الذين بلغوا مكانة مرموقة في مراتب العلم والمعرفة، واضطلعوا بأنشطة علمية ودينية في الحقل الاجتماعي الذي ينتمون إليه، وتركوا بصمتهم التقويمية في مجال التربية والسلوك، والذين يعرفون بالأصحاب، ومنهم كما تفضل به علينا التنبكتي: أبو الحسن علي

[1]- التنبكتي، المصدر السابق، ص248.

[2]- التنبكتي، المصدر السابق، ص248. وللمزيد من التفصيل، راجع: بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص83.

[3]- بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص126.

بن عثمان، وبلقاسم بن محمد المشذالي فقيه بجاية[1]. كما تتلمذ على يديه وعلى يدي تلامذته ثلة من العلماء على غرار: محمد الهواري، وعبد الرحمن الثعالبي، وعيسى بن سلامة البسكري وغيرهم[2].

– ولا ريب أنّ ذيوع صيته لا يقتصر على ما حصّله من علوم ومعارف وما اكتسبه خبرات في تخصصه ومجال نبوغه، وإنما كذلك من المكانة التي يحتلها الشيوخ والعلماء الذين تمدرس على أيديهم؛ فهو –كما أسلفنا ذكره– تتلمذ على مجموعة من أساطين الفقه وأقطاب التصوف[3].

– كما إنّ مما يشهد بذيوع صيته العلمي ومكانته الدينية؛ هو تخطي فتاويه وأفكاره التصوفية الحدود الإقليمية للجغرافية التي يقطنها، وتجاوزها لها إلى غيرها من الأقاليم الاسلامية مغربا ومشرقا. فبالرجوع إلى متون المدونة الفقهية النوازلية ذات الأصل والمنبت المغربي على غرار "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" لمحمد بن أبي عمران المغيلي المازوني (ت833هـ/1478م)، و"المعيار المعرب" لأبي العباس أحمد الونشريسي (ت914هـ/1511م)، نقف على أنّ فتاويه تكاد تغزو قائمة الأجوبة التي صيغت لتطبيب المسائل والمشكلات الفقهية المعروضة على العقل الفقهي والمجتهدين في هذا التخصص للنظر فيها وتوصيف الإجابة الشرعية الشافية[4].

– ينضاف إلى ما سبق من شواهد، تهافت أهل الفقه والتصوف على مصنفه "الأحكام الفقهية" أو مقدمته الفقهية بعد وفاته؛ حفظا، وشرحا، وكتابة، وتدريسا[5]. ومن الذين توقفوا عند مصنفه شرحا: الفقيه عبد الكريم الزواوي في كتابه المعنون "عمدة البيان في معرفة فرائض الأعيان"[6]. وكذلك الشيخ زروق البرنسي أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى الفاسي (ت899هـ)، والإمام محمد السنوسي، وعبد الكريم بن محمد المغيلي[7]. كما نالت فتاويه هي الأخرى حظا وافرا من اهتمام طلبته شرحا وجمعا، وتدريسا[1].

---

[1]– التنبكتي، المصدر السابق، ص248. انظر كذلك: بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص84.

[2]– الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص31، بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص126.

[3]– التنبكتي، المصدر السابق، ص248.

[4]– بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص83.

[5]– الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص68، بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص130.

[6]– وهو من المصنفات المفقودة. ويُذكر بأنّ عبد الرحمن الصباغ قام باختصاره في مصنف معروف بـ "مختصر عمدة البيان في معرفة فرائض الأعيان". راجع: الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص68، بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص84، بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص136.

[7]– بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص138.

ويذهب الباحث "بونابي" إلى أنّ تقليب النظر في متون المظان التي أرّخت للحياة العلمية والدينية لجزائر العصر الوسيط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م) وأنه من خلال إلقاء نظرة متأنية ودقيقة في نصوصها، يقود للاعتقاد بأنّ التصوف أضحى يدرس ببجاية كمادة من مواد علوم الدراية إلى صف علم التفسير والحديث...، وأنّ رواج الفكر الصوفي إبان تلك الفترة لا يقتصر على كونه منهجا روحيا فحسب بقدر ما يعكس ثقافة العصر، وهو في اعتقاده ما تجسّد في شخصية الوغليسي العلمية والدينية، ويشفع لهذا في ضوء ما يراه ذات الباحث، تفسير أبي العباس زروق البرنسي لألفاظ "**التوكل والورع والإخلاص واليقين الواردة في نصوص الوغليسية تفسيرا صوفيا سليما**"[2].

- وتأتي شهادة معاصريه، لتضيف لبنة إلى ما ذكرنا بشأن علو كعب هذا الفقيه في ساحة العلم وسمو مكانته والدينية العلمية في منازلها، فابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م) باعتباره من الذين عايشوا عصره وتحسسوا صيته العلمي والمعرفي، وأدرجوه ضمن قائمة من ترجموا له، يصفه "**بالفقيه الصالح المفتي**"[3]. وتتواتر شهادات من خصّ حياته بالترجمة والتدوين على أنّه من فقهاء عصره البارزين، وأئمته المشهورين، وزهاده الذين احتقروا الحياة الدنيا بزخرفها واستصغرتها نفوسها وأقبلت على الآخرة، كما تفضّل به كل من: عبد الكريم الزواوي، وابن صعد التلمساني[4]، والتنبكتي (ت1036هـ/1627م)[5]، وعبد الرحمن الثعالبي (ت875هـ) فقد ذكر الأخير بأنّه لقي ببجاية حين دخلها عام اثني وثماني مائة "**الأئمة المقتدى بهم في علمهم ودينهم وورعهم، أصحاب الشيخ الفقيه الزاهد الورع أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي**"[6].

3. الدور التربوي للوغليسي في مجابهة الفساد الأخلاقي ومنه سفور المرأة:

---

[1]- المرجع نفسه، ص130.

[2]- بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص86.

[3]- ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، جمع وتصحيح وتعليق، هنري بيرس، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية رودوسي قدور بن مراد التركي، الجزائر، ص62. راجع كذلك: بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص84.

[4]- ابن صعد التلمساني، المصدر السابق، ص51. راجع كذلك: شجرة النور الزكية ص237، الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص68، بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص84.

[5]- التنبكتي، المصدر السابق، ص248.

[6]- الثعالبي عبد الرحمن، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد... ويليها رحلة عبد الرحمن الثعالبي، تحيق محمد شايب شريف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ/2005م، ص107. راجع أيضا: الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص69.

بداية من الأهمية بمكان، التوقف بشكل جد مقتضب عند مفهوم السفور عند أهل العلم، حتى تتجلى طبيعة المسألة الأخلاقية التي حذّر منها أهل العلم وبينوا خطرها على المجتمع وتداعياته على نسيجه، وجابهوا أهلها وحاربوا مظاهرها، ومنهم الشيخ الفقيه عبد الرحمن الوغليسي.

فسفور المرأة كما تجليه مادة المعجم اللغوي: هو كشف الوجه؛ فقد جاء في لسان العرب لابن منظور: أنّه إذا قيل: سفرت المرأة وجهها: أي أنّها "**كشفت النقاب عن وجهها**"[1]، وكذلك إذا قيل "**سفرت المرأة نقابها تسفره سفورا، فهي سافرة: جلته**"[2]. ويعضد هذا ما أورده صاحب معجم "المصباح المنير" في مادة "سَفَرَ"؛ حيث جلَّى معنى سفور المرأة في كونه: كشفها لوجهها[3]. أو صاحب المعجم الوسيط، الذي يحدّد هو الآخر، دلالة سفور المرأة لغة بأنه يعني: "**وضح، وانكشف**"، حيث حين يقال سفرت المرأة فذلك معناه أنّها "**كشفت عن وجهها**"[4]. وسفر العمامة عن رأسه: كشفها[5].

وبتقليب النظر في متون النص المعجمي اللغوي، ينعقد الاتفاق على ذات المعنى السالف ذكره لمصطلح السفور؛ فهو من حيث التركيبة اللفظية والمبنى الشكلي مشتق من الفعل "سَفَرَ"، ومن حيث الدلالة والمقصد اللغوي: كشف الوجه وإظهاره، وعدم تغطيته وستره.

غير أنّ الدلالة الاصطلاحية لسفور المرأة لا يقتصر على كشفها لوجهها، وإنما يتعدّاه في النظر الفقهي إلى تبرّجها وعدم التحجب، والعري، والاختلاط بالرجال في الأعراس والأسواق ومختلف الأماكن العامة، وغيرها من مظاهر الفساد والانحلال الخُلقي التي تقع فيها المرأة.

ونحن لا نرمي في دراستنا هذه لمعالجة موقف الفقيه الوغليسي من مسألة سفور النساء وجهوده التربوية والتعليمية والتقويمية والإصلاحية في هذا المسعى، بالاقتصار على كشف المرأة لوجهها، وإنما كل مظاهر التجاوز الأخلاقي الذي وقعت فيه المرأة؛ كشفا للوجه، أو تبرجها، أو اختلاطها بالرجال، أو وقوعها في الزنا، أو فرارها من بيت الزوجية، أو اختطافها واغتصابها وغير ذلك من مظاهر التجاوز الجنسي وألوان التعدي على كيانها من طرف الرجل.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب المحيط، مج22، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ص2025.

[2]- المصدر نفسه، ص2025.

[3]- الفيومي أحمد بن محمد، المصباح المنير معجم عربي-عربي، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1987، ص106.

[4]- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ/2004م، ص432.

[5]- المصدر نفسه، ص432.

كما إنّه وقبل التنويه بجهود الوغليسي في مسار التربية والتعليم والإصلاح والتقويم الأخلاقي، يحسن بنا التذكير بما ألمحت إليه جل الدراسات التي أخضعت شخصية الوغليسي بكل جوانبها للمعاينة والفحص البحثي[1]، بأنّ تقصي الأخبار التي تغطي تفاصيل حياته بشكل وافٍ وصورة مثلى، ليس أمرا متاحا كما يتشوّفه كل من عقد العزم على ذلك ورام صرف الجهد في سبيل ذلك؛ وذلك أنّ ما احتفظت لنا به النصوص المصدرية من أخبار ومادة تاريخية حيال ذلك خاصة كتب الطبقات والتراجم والتصنيف المنقبي، هزيل جدا، لا يسعف لبلوغ تغطية شاملة، وبناء دراسة متكاملة حول حياته بكل أبعادها، ومنها: أدواره الاجتماعية، ومستويات فاعليته التطبيبية لأوجاع المجتمع الأخلاقية وانزلاقاته السلوكية وانحرافاته التربوية.

بيد أنّ ذلك لا يثنينا عن عزيمتنا لخوض غمار البحث في هذه المشكلة التي بين أيدينا، ولا يمنع من المحاولة في حدود ما هو متاح من مادة إخبارية، وما نحوزه من شذرات حول نشاطه الاجتماعي وأدواره التربوية ضمن النسيج المجتمعي الذي عاصره.

مع ضرورة التأكيد أيضا على نقطة مفصلية في هذا الشأن؛ وهي أنّنا لسنا نرمي لإضفاء صبغة السوداوية على الواقع التربوي والأخلاقي الذي ساد الفضاء البجائي خلال الإطار الزماني لحياة الفقيه الوغليسي أي خلال القرن الثامن الهجري (14م)؛ إذا ما أشرنا إلى نسيج التجاوزات الأخلاقية التي اصطبغت بها سلوكات شريحة من المجتمع خاصة فئة النساء في منحى السفور، والانحلال الخُلقي الذي غرقت في بحره بعضهن، والانزلاقات السلوكية التي وقعن فيها، ولا نعتقد بأنّ ذلك اللون من الفساد الأخلاقي (سفور النساء) كان محصورا في مجتمعات بجاية دون غيرها من الجغرافية الاجتماعية للمغرب الأوسط بشكل خاص والغرب الاسلامي بشكل عام بل وحتى العالم الاسلامي برمته زمنئذ، بل نعتقد بأنّ مسألة التجاوز الأخلاقي هذه (السفور) لم ترق أولا، إلى مستوى ظاهرة متفشية بشكل لامع ضمن النسيج المجتمعي البجائي وإنما سلوك تفشى نتاج ظرفية تلونت العوامل التي ساعدت على انتاجها، ولم تكن وليدة عصره وإنما سبقته، كما لم يكن واقعا مخصوصا بفضاءات بجاية وجغرافيتها البشرية دون غيرها وإنما سلوكا عاما وقت فيه نسوة العالم الاسلامي كذلك كانعكاس لواقع وظرفية تداخلت أسبابها وتشابكت المؤثرات التي أسهمت في انتاجه كما ذكرنا آنفا. أمّا تخصيصنا لمدارسة هذه التجاوزات الأخلاقية بالفضاء

[1]- بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص83.

البجائي فكان استجابة لمعالجة اشكالية جهود الفقيه الوغليسي العالم والمتصوف البجائي الذي حمل على عاتقه مسؤولية النهي عن المنكر والأمر بالمعروف ومعالجة الإزم الأخلاقية التي عايشوها ومن ضمنها مسألة سفور النساء.

ومع ذلك، لا بأس من التوقف بشكل مقتضب عند ملامح من الواقع الأخلاقي المتأزم الذي شهدته بجاية كغيرها من حواضر الغرب الاسلامي، والمخالفات التي وقع فيها أفراده ومن ضمنهم المرأة.

فمن خلال ما سجله النص المصدري، أمكننا التوقف عند بعض التجاوزات الأخلاقية التي وقعت فيها المرأة البجائية أو بالمغرب الأوسط خلال القرن السادس الهجري (12م)، ومن ذلك ما رسمته الحوليات التاريخية الموحدية من واقع اجتماعي وأخلاقي ببلاد الغرب الاسلامي ومن ذلك بالحاضرة البجائية، في مسار التنظير للمشروع التومرتي وبناء إرهاصاته الدعوية والإصلاحية، وجهود التمكين له على البساط الجغرافي المذكور سلفا. ومما شدّنا إليه بما له صلة بموضوع بحثنا، ما ذكره البيذق عن واقع الشباب البجائي الذي عاينه شيخه محمد ابن تومرت (ت524هـ/1130م) حينما توقف ببجاية سنة 510هـ1116م وهو في طريق عودته من المشرق قاصدا بلاد المغرب الأقصى، حيث يذكر بأن شيخه عاين مظاهر متعددة من الفساد الأخلاقي كتزيّي الشباب الذكور بزي النساء (التخنث)، واختلاط الرجال بالنساء في الأماكن العامة والأسواق، ومعاقرة الخمور ونحوها، واجتهد في محاربتها وتغير المنكر بها[1].

كما تضمنت كتب الحسبة ومدونات الفقه النوازلي العديد من الفتاوى التي تحذّر من مخاطر الفتن الاجتماعية والأخلاقية التي تنتج عن مظاهر سفور المرأة وتبرجها، وخروجها غير ملتحفة ولا مستورة كما ينبغي شرعا، واختلاطها مع الرجال في الأعراس والأسواق أو غيرها من الأماكن التي تتزاحمه فيها دون عفة وستر وحياء وحصانة. ولنا في ما تضمنه مصنف العقباني "تحفة الناظر" والمعيار للونشريسي[2] ما يزكي ذلك من فتاوى وإرشادات دينية، على غرار ما جاء في منكرات النساء كخروج الإماء **"في الأزقة والطرقات ملتحفات كالحرائر أو مكشوفات بما لا يحل كشفه منهن كالظهر والبطن لأن كلا الأمرين في حقهن محظور. وكذلك خروج الرابعات في هذا الزمان منكشفات كالوخش فإن ذلك من دواعي الفتنة"**، واجتماع النساء للتويزة وكثرة خروجهن وتعرضهن للفتن، وتحذيرهن من الخروج للمقابر لما يحتمل أن

[1]- البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، المغرب، ص13.

[2]- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص250.

"**يعارضهن بتلك الحالة كثير من الفساق**"، ونهرهن عن إطالة الوقوف إلى الصناع في المحلات والأسواق "**لأن ذلك كله داعية إلى الفتنة**"[1].

ولا بأس من التنويه كذلك بالجهد اللامع الذي بذله الباحث "بونابي" وهو يُنظِّر لفلسفة التصوف التي سادت ببلاد المغرب الأوسط، ويباحث طبيعة الأسباب التي أسهمت في نبات هذه الظاهرة التصوفية ونموها ضمن المجتمع المغرب أوسطي، وانعكاساتها على واقعه الديني والاجتماعي. وممّا نبّه إليه في هذا الصدد، أنّ التصوف جاء كرد فعل على تلك الآفات الاجتماعية التي سادت الوسط المجتمعي وتخللته، ومظاهر الانحلال الخلقي والمنكرات التي تفشت بين ظهرانيه. ففي صورة استوقفتنا مما أحال إليه هذا الباحث من مظاهر التجاوز الخُلقي في الوسط النسائي خلال القرن السادس الهجري (12م): أنّ "**الجارية والأمة تشترى ويبيت معها صاحبها ليلة ذلك اليوم دون أن يوقفها للاستبراء، وقد لجأ ميسورا الحال الذين يملكون إلى اسقاط الأجنة وهي محرمة شرعا**"[2]. ولا يتوقف الأمر على هذا المظهر من الفساد الأخلاقي، بل بلغ عند بعض الأسر إلى ظهور زنا المحارم، وكذلك مظاهر الاغتصاب وخطف المرأة والتسلي بها[3].

ولو بحثنا في طبيعة الأسباب التي أسهمت في نمو مثل هذه الآفات الاجتماعية والمنكرات وألوان الفساد الأخلاقي الذي تفشى بين ظهراني فئة من النسيج المجتمعي البجائي، فإنّ من بين ما يمن الإشارة إليه في المضمار، ما ألمعت إليه النظر بعض الدراسات التاريخية التي استوقفت تلك الاشكالية أصحابها، على غرار ما نبّه إليه صاحب دراسة "أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي"، من أنّ شريحة من سكان بجاية اكتسبت بعض العادات والطبائع الدخيلة على المجتمع البجائي المسلم تأثرا بالنمط الحياتي الاجتماعي للإمارات الأوروبية النصرانية؛ في ظل الانفتاح التجاري عليها، والتعامل المكثف فيما بينهم في

[1]- العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص79-80.

[2]- بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر، خلال القرنين 6و7 الهجريين/ 12و13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص100.

[3]- ابن الطواح عبد الواحد محمد (ت675هـ/1276م)، سبك المقال لفك العقال، تحقيق ودراسة، محمد مسعود جبران، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، 2008، ص105، بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر، ص100-101، بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص91.

مجال الاقتصاد بصفة مباشرة[1]. كما أسهم النشاط العسكري الذي تشرف عليه القيادة السياسية ببجاية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م) في إقحام العنصر النسوي الأوروبي ضمن النسيج المجتمعي البجائي في إطار مظاهر السبي والغنيمة التي يظفرون بها على عاتق ذلك النشاط. وبذلك أسهم هذا الواقع الاقتصادي في تفشي بعض مظاهر التفسخ والانحلال الخُلقي والمخالفات الشرعية إلى درجة أن بلغ مستوى المجاهرة بها كالزنا والسفور ومعاقرة الخمور[2].

ولا نستبعد أنّ هناك من نساء بجاية من تعرضن للسبي في ظل التحرشات والغارات وأعمال القرصنة التي تشرف عليها الجماعات النصرانية بصفة منظمة أو غير منظمة من طرف قيادتها، وبذلك كانت المرأة من أكبر ضحايا ذلك التجاوز والتعدي الخارجي كالاغتصاب[3]، ولا نستبعد أن تتأثر تلك النسوة بالنمط الأوروبي في اللباس والطبائع والسلوك الذي تُرغم في بداية أمرها على التحلي به وارتدائه، ثم تتأقلم معه. ومن ألوان ذلك التأثر ما تعلق بالمظهر الخارجي للمرأة وثقافة التجميل والزينة واللباس.

وفي محاولة للاستئناس بما تفضل به النص المصدري حيال هذا الواقع الأخلاقي الذي آلت إليه الحياة الاجتماعية والدينية بالفضاء البجائي كغيره طبعا من مدن الغرب الاسلامي زمنئذ، -فقد ذكرنا بأنّ ذلك التراجع الأخلاقي والتفشي لمظاهر الفساد وألوان المنكر في أوساط شريحة من شرائح المجتمع ليس قاصرا على الوسط البجائي بل مظهر عام ينسحب على شرائح مماثلة بمجتمعات الغرب الاسلامي-، فلا بأس من التلميح إلى ما أشار إليه الرحالة العبدري (ت725هـ/1325م) في هذا الشأن؛ بحكم أنّه من الذين زاروا بجاية خلال القرن الثامن الهجري (14م) ودونوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم وعاينوها عن كثب، إذ يذكر هذا الرحالة بأنّ واقع بجاية العلمي والاجتماعي تغير قليلا عما كان عليه فيما سلف، فبعدما أشاد

[1]- الغبريني أبو العباس أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص45-46.

[2]- بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص91.

[3]- العقباني التلمساني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح، علي الشنوفي، نشره المعهد العلمي الفرنسي، دمشق، 1967، ص181.

بحسن خلق أهلها وأخلاقهم، يعقب ذلك بقوله: **"غير أنه اعتراه من الغير ما شمل في هذه الآوان من البدو والحضر"**[1].

كما أسهم ظهور تيار المرابطين والجماعات الصوفية الجوالة كما اصطلح على ذلك أحد الباحثين[2]، في نشر البدع والخرافات؛ والتي لعبت دورها في إبعاد الناس عن قيمهم التربوية السليمة، ونظامهم السلوكي القويم، وتسببت في حدوث انحرافات عقدية وسلوكية وتربوية وفكرية، ولم تسلم حتى حياة المرأة الدينية من وبال ذلك.

ولا يمكن إغفال تأثير مظاهر الترف والبذخ التي عرفتها بلاد المغرب الأوسط خاصة ما بعد القرن السادس الهجري (12م)، في حياة المجتمع؛ حيث انساق البعض وراء ملذات الدنيا ومتاعها، وضيعوا حدود الله وتجاوزوها، ومن ذلك خروج بعض النسوة عن نمط حياتهن المألوف، وتطلعن إلى تقليد نمط حياتي لا ينسجم وهويتهن الدينية، سواء في نمط اللباس، أو الزينة، أو الإكثار من الخروج لغير حاجة، ومعلوم ما يجرّه ذلك على حياتهن التعبدية، وخُلقهن وتربيتهن. وخاصة مع تنامي حجم تأثير العنصر الوافد على منظومة القيم العرفية والتقاليد والعادات والطبائع المحلية كما أشرنا إليه سلفا؛ ذلك أنّ بعض النسوة بالمغرب الأوسط قلّدن طبائع أهل الذمة وعاداتهن الاجتماعية بالرغم من أنّها لا تتسق والمنهج الشرعي، وتأثرن بأسلوبهم في اللباس، والتزين، والتسوق، والتنزه، وغيرها من ألوان التمتع بالحياة الدنيوية بمنظور الحرية الاجتماعية المخالِف للشريعة الاسلامية؛ حيث منهن من كنّ يبالغن في إظهار أناقتهن وجمالهن ويحرصن على الظهور بهندام مكشوف وفاتن ولافت إلى الدرجة التي تلفت الانتباه وتثير الفضول وتشد الناظر؛ بمختلف وسائل الزينة وموادها كالحلي والكحل والحناء واللباس الفاخر الجاذب والكاشف للمفاتن[3]، ونحوها من مواد التجميل والتزين، إلى درجة الوقوع في خطر التماجن والسفور والتبرج حين خروجهن إلى الأسواق والأماكن العامة والحمامات وإلى المقابر يوم العيد وهن منكشفات قد خلعن جلباب الحياء عنهن

[1]- العبدري محمد البلنسي، الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 1428هـ/2007م، ص50.

[2]- التنبكتي، المصدر السابق، ص248، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص342، بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص94.

[3]- بكاي عبد المالك، الحياة الريفية بالمغرب الأوسط 7-10هـ/13-16م، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر، 2014، ص199-200.

كما يصطلح عليه أصحاب النص التراجمي. وهو ما تزكيه الفتاوى التحذيرية من خطر تشبه نساء المغرب بالذميات وتقليدهن في أسلوبهن الحياتي القائم على فكرة الحرية الاجتماعية، ومن ذلك: ما أورده ضمن فتوى "حكم الذمي إذا زنى بالمسلمة طائعة"، و"حكم إصابة النصراني المسلمة"، و"المناكر التي يعلنها أهل الذمة"، وبناء "أهل الذمة دورهم مع المسلمين"، وفتوى "استهانة أهل الذمة بأحد من المسلمين"، وفتوى "خروج النساء متزينات بأنواع الزينة"، و"ما يفعله شرار النساء من التفاعيل"[1].

وحسب ما تجليه نصوص المدونة الفقهية النوازلية فإنه قد بلغ الأمر في مسألة التجاوز الأخلاقي الذي وقعت فيه بعض نسوة بلاد الغرب الاسلامي، أن طُرِحت مسائل تخص إمامة من لا يرغم بناته على التحجب ولا يأمر زوجته بالتستر بجلباب الحياء، ولا ينهرهن حين يقعن في آفة الاختلاط مع الرجال، ومن ذلك نازلة: **"إمامة من لا يجب امرأته عن الناس"**، ومن يجمع في بيته بين الذكور والإناث دون حائل بينهما هل تجوز إمامته[2].

3. 1 منهجه التدريسي:

إذا رمنا تسليط الضوء على جهود هذا الشيخ الفقيه الصوفي (الوغليسي) في حقل التربية، وتقويم الأخلاق، ومقارعة الباطل ضمن النسيج المجتمعي الذي عاش بين ظهرانيه؛ ونقصد بذلك الفضاء البجائي بشكل أساس، فإنّ مما يجدر التنويه به؛ هو المكانة السامية التي ارتقاها في مصاف الأستاذية، والنبوغ المعرفي الذي اتسمت به شخصيته وميزة الموسوعية العلمية التي اصطبغت بها.

ولعلّ خاصية الموسوعية في حقول العلم وميادين المعرفة التي حازها الوغليسي كانت سمة غالبية النخب البجائية العلمية والدينية، ففي ضوء شهادة الرحالة النميري (براهيم بن الحاج (ت774هـ/1346م) تتجلّى لنا تلك الخاصية بشكل أكثر وضوحا وملامح تلك السمة بصورة لامعة؛ باعتباره من زوار الفضاء البجائي سنة 757هـ/1346م ومن الشهود المعاينين لذلك الواقع والواقفين عليه عن كثب؛ وهو ما نلمسه في قوله: **"أنّ فقهاء بجاية لهم في العلم والدين أفسح الميادين"**[3]. كما تأتي

[1]- العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص161-175.

[2]- الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص131.

[3]- ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة، محمد بن شقرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص269، بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص86.

شهادة أحد المترجمين المتأخرين لطبقات المالكية ببلاد الغرب الاسلامي، لتزكي هذا الطرح وتشفع له، حيث يذكر بأنّ الوغليسي ليس فقيها فحسب وإنما أصولي كذلك ومحدث ومفسر وأحد أعمدة أهل زمانه وفريد عصره ببجاية[1].

إنّ محاولة تحديد المنهج التربوي الذي انتهجه الوغليسي في مسعاه التقويمي التعليمي قد يتبدى من خلال معاينة متأنية لطبيعة المادة التفصيلية التي أفاد بها من شَرَح كتابه الأحكام الفقهية المعروف بالوغليسية؛ في كونه يقوم على المزج بين تلقين المعارف والأحكام الفقهية وشرحها وتبسيطها، وبين أسلوب عرضها وقالب تفصيلها الذي ينبني على أساس نظرة تصوفية تنزع إلى تطليق الدنيا طلاقا محمودا والإقبال على الآخرة إقبالا جادا؛ من خلال الاجتهاد الفاعل لتطهير القلب تطهيرا كفيلا بحفظ الجوارح عن كافة المعاصي والمخالفات الشرعية، وضبط سلوكات الفرد ضبطا يتناغم ومبادئ الدين الحنيف ويلتزم بصراط قواعده الناظمة لمنهج الحياة المستقيم. مع المواظبة على إصلاح النفس وتطبيب أوجاعها الروحية لتنمية وتقوية صلتها الروحية-الايمانية بخالقها -جلّ في علاه-، والارتقاء بها إلى مراتب عليا في درجات الإيمان والورع؛ من خلال الحرص على الإخلاص في العبادات والطاعات مهما كان لونها، والتفاني في أدائها على وجهها السليم، واليقين في كل ما يجب فيه اليقين وحسن الاعتقاد، والرضا بقضاء الله والقناعة بما حبا به صاحبها من نعم وآلاء[2].

فكأننا به لو صرفنا جهده هذا في ناحية محاربة سفور النساء وأسقطناه على حاله في معالجة هذه المعضلة الخُلقية، يتشوف لبناء شخصية المرأة الدينية والتربوية وفق منظور تصوفي يهدف إلى حماية كيانها الجسمي وتأمين مظهرها والمنافحة عن عفتها وطهارتها؛ من حيث حسن التزامها بقيم الدين الحميدة وآداب الشرع السديدة في لباسها، وفي تصرفاتها، داخل بيتها وخارجه. أيّ يصبو لتعيش المرأة حياتها كزاهدة، ورعة، ومجاهدة، تبني حياتها على أساس التقوى، وتنشد في مسارها كل ما فيه فلاحها ونجاتها في آخرتها، تحرص غاية الحرص على الالتزام بقواعد الشرع والاهتداء بنصوصه، وإتباع سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) والمحافظة على ذلك، وصرف النظر عن كل ما فيه معصية أو شبهة.

[1]- ابن مخلوف، المرجع السابق، ص342.

[2]- راجع ما تفضل به في هذا السياق، الباحث: بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص83.

فهو يدعوها للسير على المنهج الشرعي الذي يقودها إلى ما فيه الخير والفلاح لها، ويقترح عليها فلسفة حياة تعبدية تقوم على التدرج لبلوغ الفلاح وتحقيق غاية النجاة والفوز بحسن الخاتمة. حيث تنطلق هذه المرأة الساعية للظفر برضى خالقها وقبوله في مسارها التعبدي من قاعدة التقوى بما يتناغم والتصور التصوفي المعروف بمجاهدة التقوى؛ التي أساسها ملازمة أوامر الله ملازمة روحها الإخلاص، والابتعاد عن نواهيه روحه التفاني والمجاهدة، وحسن الإقتداء بمنهج النبوة روحه قوة الحرص وجميل المداومة. وهي المحطة التعبدية الكفيلة بقطع صلة العبد بزخرف الحياة الدنيا وملذاتها الفانية ومتاعها الزائل، وتطهير أفعال العبد من كل الشوائب والتجاوزات والمخالفات، ناهيك عن المراقبة الدقيقة لأفعال القلب باعتباره المحرِّك الأساس لسلوكات الفرد وأفعاله الظاهرة والمتحكم فيها والموجّه لها، وتعهّده بالشحن الروحي الذي مصدره التقوى، ومعينه الإخلاص، وراعيه الإنابة، وكافله المداومة والمجاهدة. أمّا المرتبة الثانية من مراتب تحقيق الغاية التعبدية المنشودة والامتثال لمقصد الغاية من الخَلق؛ فينجلي في طاعة الصبر، والرضا، والقناعة؛ باعتبارها محطة تعبدية من محطات تطبيب أوجاع النفس ومعالجة أمراضها الروحية والنفسية والسلوكية، وهي المرتبة التي تسمى في فلسفة المتصوفة ونظرتهم لمنهج الحياة التعبدية بمرحلة "مجاهدة الاستقامة"[1]، أي أنّ الفرد خلال هذه المرتبة التعبدية في مسار المجاهدة يستميت في مجاهدة النفس والصبر على كافة المشاق التي تعترض سبيلها لتسلق سلالم الكمال الانساني والرقي الإيماني وبلوغ الرضا الرباني.

في حين تتجلى أسمى مراتب التعبد وأبهى صوره وأعلى درجاته الإيمانية –وفق التصور التصوفي– في محطة ملازمة الإخلاص في جل العبادات، والتنزه عن كل ما له صلة بمتاع الدنيا وملازمة طريق الآخرة؛ حين يكون اللسان رطب بذكر الله، والقلب لا ينبض إلا بحبه ويخلو من كل ما سواه، البدن يجتهد بحسن طاعته وجميل التعبد له.

ولا يخالجنا الريب، بأنّ هذا الفقيه، كان يراعي حاجة المجتمع الدعوية، ومطالبه الاصلاحية، وطبيعة الإزم الأخلاقية التي باتت شرائح أو فئات من نسيجه تتخبط بين مخالبها، ومن ذلك الفساد الخُلقي واستباحة المحرم الذي وقعت فيه بعض النسوة بالفضاء البجائي على وجه الخصوص وجغرافية المغرب الأوسط بصفة عامة، على غرار مظاهر السفور التي نزعت إليها تحت طائل الظروف المستجدة التي طرأت على الحياة الاجتماعية والأخلاقية لهذه المجتمعات وقد سبق التلميح إلى هذا في مطلع هذه الدراسة.

[1]– انظر المادة البحثية التي أنتجها في هذا الشأن، الباحث: بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص88.

وعلى هذا الأساس، طبيعي أنّه أخذ بعين الاعتبار نظام الأولويات في مساره التدريسي وتعليم طلبته؛ باعتبارهم المُبلِّغ لنصائحه لغيره وخاصة العائلات التي ينتمون إليها، والناشر لعلمه إلى غيره ممن يحتكون به. وكان تركيزه بشكل رئيس موجه لتبسيط قواعد الفقه وشرح أساسياته وخاصة فقه العبادات؛ باعتبارها من الوصفات الشرعية التي تعين الفرد على الاستقامة، وملازمة صراط الشرع، وعبادة الله على حق، والتقرب إليه على الوجه المشروع. وهي الجهود التعليمية التي من شأنها أن تسهم في تطبيب أوجاع الواقع الأخلاقي، وتعين على إعادة إدماج الفرد المدمن على أي سلوك غير سوي أو خُلق غير شرعي أو صفة سيئة، في منظومة القيم الاسلامية النبيلة، وردّهم إلى جادة صواب الصراط الشرعي القويم. وتفعل فعلها كذلك في مسعى تهذيب سلوكاتهم، وإرشادهم إلى سبل الرشاد والهدى.

وفي ظل الموسوعية التي تتسم بها شخصية الوغليسي العلمية، وتعدّد مشاربه المعرفية وفنونه العلمية فهو كما جاء عند أحد المترجمين: **"الفقيه الأصولي المحدث المفسر عمدة أهل زمانه وفريد عصره"**[1]، فقد تعدّدت مجالات الإفادة في مسعاه التقويمي، ومساره التدريسي وأسلوبه العلاجي لواقع عصره الديني والاجتماعي.

ثمّ إنّ ملاحقة النصوص التاريخية التي رصدت مسار هذا الفقيه الحياتي، واستوقفها نشاطه التدريسي، تؤكد على محورية هذا النشاط في مساره الدعوي، ووظيفته التربوية، واهتماماته الاصلاحية؛ فقد كان معلما ومربيا وموجها وناصحا، يلازم منصب التدريس ولا يكاد يغادره إلا لحاجة أو ضرورة، همه إصلاح أخلاق قومه، وتقويم سلوكهم، وتربيتهم على مكارم الخلق ومحاسن القيم، وجميل الفضائل. فكان بحق كما أشار إليه البعض من أهل البحث[2]، المدرسة الأساسية التي تخرجت منها قوافل من الطلبة، ونبغ فيها جمع غفير من أهل العلم من داخل الفضاء البجائي ومن خارجه. وفي ظل هذا النشاط التدريسي المكثف، لا ينتابنا شكّ في أنّه كان يدعو طلبته ذكورا أو اناثا للتحلي بالقيم الاسلامية النبيلة، وحسن التقيد بضوابط الشرع، وجميل الانتهاء عن نواهيه، ومن ذلك دعوته للمرأة بأنّ تلزم عفتها، وتصون عرضها، وتحافظ على تديّنها، وتحذيره لها في المقابل، من الوقوع في شباك الرذيلة، والانحلال الخلقي بكل ألوانه، ومنه السفور.

[1]- ابن مخلوف، المرجع السابق، ص342.

[2]- بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص130.

3. 2 الإمامة:

الوغليسي من أهل العلم البجائيين الذين جمعوا بين علم الشريعة وعلم التصوف؛ علما وعملا، وتكوينا وتدريسا. فقد حاول هذا الشيخ أن يضفي على المنهج التصوفي المتبع في حياة الفرد التعبدية صبغة السنية استنادا إلى هويته الفقهية التي تشي بشخصيته الدينية والعلمية. كما حاول الوغليسي أن يمنحه الشرعية الدينية وإدراجه في حيزها السني؛ من خلال إدماجه -كما اصطلح عليه أحد أهل البحث والضالعين في هذا الحقل البحثي- في المنظومة السنية الفقهية المالكية[1].

ومن ثَمَّ فرؤيته في مساره الدعوي كإمام من أئمة مساجد الفضاء البجائي تقوم على كونها تستظل بفلسفة الحياة التصوفية ومنظورها الزهدي، أي تخضع لمؤثر التصوف وتقتفي أثر سالكيه من متصوفة عصره وممن سبقه. واستطاعوا أن يصهروا الفقه والتصوف في وعاء علمي واحد يتوشح بغطاء فقه العبادات كالطهارة والصلاة والصيام...

ولا نشكّ في أنّ الوغليسي قد أحدث ثورة على مستوى التغيير الأخلاقي والإصلاح السلوكي ضمن النسيج المجتمعي بالمغرب الأوسط -ومنه شريحة النساء- بنصائحه وتوجيهاته في مسار نشاط الإمامة الذي اضطلع به في المسجد البجائي، وساهم بذلك الجهد -إلى جانب جهود النخب العلمية والدينية التي سبقته أو عاصرته بتلك الجغرافية[2]- في إعادة ضبط سلوكات الفرد وفق قواعد الشرع وأحكامه، وتقويم الاعوجاج الخُلقي عند شريحة من المتجاوزين للقيم والأعراف الاسلامية والأعراف.

لقد كان الوغليسي شيخ الجماعة ببجاية في عصره، وأحد أئمتها الكبار[3]، يلقي خطبها على مسامع أهلها في المساجد التي يؤمّها، ويفتي أهلها في كل ما يُطرح عليها من مسائل دينية خاصة في المجالات الشرعية التي يجيد فنونها وعلى رأسها مجال الفقه، ولا يتخلّف عن معالجة أمراضها الأخلاقية، وتوصيف العلاج الشرعي لها، بما في ذلك قضايا المرأة ومسائل حياتها الخُلقية.

3. 3 الفتوى:

[1]- التنبكتي، المصدر السابق، ص248، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص342، بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص86.

[2]- فمن بين من سبقه: العالم والفقيه المشذالي (ت731هـ)، والفقيه أحمد الغبريني (ت714هـ/1315م). ومن معاصريه: الفقيه بلقاسم المشدالي وعبد الصمد المشدالي. الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص30-31.

[3]- بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص131.

إنّ القراءة المتأنية لمادة كتاب الوغليسي "الأحكام الفقهية"، والإطلاع الفاحص لفتاويه التي رصدتها المدونة الفقهية النوازلية، تقودنا للوقوف على جوانب من الشخصية الدينية والإفتائية لهذا الفقيه[1]، وتحيلنا على طبيعة المواضيع والمسائل التي استوقفته واستفزته لتطبيب أوجاعها بأجوبة فقهية استنادا إلى هويته الفقهية ونظرته التصوفية، وعلى الرؤى التنظيرية التي ألمح إليها في مجال مناهج المعالجة وطرائقها، والمواقف التي سُجِّلت في ذلك المسعى، كما تكشف لنا عن أنّ هذه الشخصية العلمية كانت مصباحا مضيئا لطريق الحق بفتاويه ومدارسته لقضايا عصره الدينية لاسيما في المنحى الفقهي، غير أنّها لا تسد رمق الباحث عن فتاويه ذات الصلة بمظاهر الانحلال الخلقي الذي وقعت فيه بعض نسوة بجاية على غرار مسألة السفور.

ومن جميل ما أفادتنا به إحدى الدراسات التاريخية التي سلطت الضوء على شخصية الوغليسي العلمية، أنّها توقفت عند مساحة من معالم منهجه المتبع في الفتوى[2]، ومنها: أنّه كان يختار المشهور من الأقوال في المذهب ولا ينزوي إلى ناحية تقليد غير المشهور[3].

والحق، أنّ الجهد البحثي المعتبر الذي بذله الباحث "بونابي" في مساره لمعاينة شخصية الوغليسي الفقهية والصوفية، وما توصل إليه من نتائج محمودة في هذا المسعى البحثي، يختصر لنا المسافة، للتلميح إلى مساحة من مواقف الوغليسي من قضايا عصره الدينية والاجتماعية، وجهوده الدعوية والإصلاحية والتوجيهية، وتشي بجوانب من فكره التصوفي ونظرته للحياة التعبدية في ضوئه. ومما يحسن انتخابه كأمثلة للاستشهاد على ذلك: مواقفه المناهضة للممارسات التي سادت الوسط التعبدي عند شريحة من المرابطين بالمجتمع البجائي بشكل خاص والمجتمع المغرب أوسطي بصورة عامة، فقد أنكر هذا الفقيه مظاهر البدع والضلال التي وقعوا فيها كمجالس الاجتماع المنعقدة للذكر والسماع بطريقة غير سنية؛ سواء من حيث الطريقة والمنهج[4]، أو من حيث ما يصاحبها من أفعال وسلوكات بدعية ضالة كالرقص والشطح والتمايل،

[1]- ابن مخلوف، المرجع السابق، ص342، الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص30-31.

[2]- راجع ما تفضلت به الباحثة:بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص131.

[3]- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد التلمساني (ت 914هـ/ 1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إخراج، محمد حجي وآخرون، ج12، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1981م، ص25.

[4]- بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص90.

والتصفيق، وما شابهها[1]. ولكن هذا الفقيه الصوفي -كما تفضل به ذات البحث- في الوقت الذي ينكر على هذا الصنف من المرابطين وقوعهم في مثل هذه الضلالات، ويذمّ أسلوبهم التكسبي ومنهجهم في طلب الرزق القائم على التواكل والكسب غير الحلال على كاهل الإغارة وأعمال الفساد والتعدّي، لا ينكر مسألة السماع التي تؤول بأصحاب صفاء الحال من المتصوفة والأولياء التي تفضي بها إلى عالم الغيبة والانعزال الروحي عن الخلائق على كاهله، وتمكنهم من مشاهدة الحق[2]، وبذلك يفصح بشكل جلي عن عمق نظرته التصوفية ويثبت تلك الهوية.

ثمّ إنّه وفي الوقت الذي كانت المسائل الشرعية تطرح على الفقيه الوغليسي للفصل فيها، والإجابة عنها؛ سواء في المجال الفقهي أو العقدي أو السلوكي، وسواء من داخل الفضاء البجائي أو من خارجه[3]، وكان يجيب عنها، ويجتهد في ضبطها وتوصيف الإجابة الشافية وفق أصول الفتوى على المذهب المالكي، نعتقد بأنّه حتى وإن لم يمنحنا النص المصدري الإضاءة المناسبة للوقوف على طبيعة المسائل التي أجاب عنها بشأن قضايا المرأة وأحوالها الشخصية ومن ذلك التجاوزات الأخلاقية التي وقعت فيها بعضهن كالسفور على سبيل المثال، ووجودها من عدمها ضمن تلك المسائل، لا نستبعد بأنّ كانت ترد إليه أو تطرح بين يديه مسائل من هذا القبيل، خاصة في ظل الظروف الاستثنائية التي شهدتها بجاية في المنحى الأخلاقي نتيجة الأسباب التي فصّلنا فيها في إحدى محطات هذه الدراسة.

موضوع الفتوى التي سُئل عنها الوغليسي	المصدر
الاضطرار إلى مكان قليل الماء	**ج1، ص67.**
من عنده كفاية سنة أو أكثر وهو مع ذلك يأخذ الزكاة	**ج1، ص391.**
قاتل الروح	**ج1، ص392.**
من غاب زوجها الفقير ولم يترك لها نفقة.	**ج1، ص393.**
الطلبة الذين يأتون من أرض بعيدة ولا يعلم حالهم يطلبون الزكاة.	**ج1، ص393.**

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص34.
[2]- بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص90.
[3]- بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص130.

من له فرس من الطلبة هل يأخذ الزكاة لوجه صفة طلب العلم.	ج1، ص393.
من أعطى زكاة ماله لمن لا يستحقها.	ج1، ص393.
من عاش في كفالة الغير هل يأخذ الزكاة.	ج1، ص393.
من ترك زكاته في مكان مأمون لا يضمنها إذا تلفت.	ج1، ص393.
إذا دفع المبتدع زكاته لمثله ثم تاب...	ج1، ص393.
مرابطون يتقدمون على أصحابهم ليعدون ما يجب عليهم من الزكاة...	ج1، ص393.
من حابى بالزكاة...	ج1، ص394.
من كثر حنثه بالصوم...	ج1، ص426.
السواك في رمضان ليلا أو نهارا	ج1، ص426.
اتخاذ الكلب للصيد والحراسة.	ج2، ص07.
هل يؤكل ما قطع من الصيد كالرجل ونحوها.	ج2، ص08.
الشاة أو البقرة المتردية التي لم تنفذ مقاتلها.	ج2، ص14.
من ضرب أنسية فكسر عظمها...	ج2، ص14.
من يذبح الوحش وغيره...	ج2، ص15.
من يطبخ القمح فيما شأنه أن يسكر	ج2، ص15.
شاة الأضحية إذا شريت بالدراهم ثم عدمت الدراهم.	ج2، ص35.
صوف الأضحية	ج2، ص35.
حديث : من هم بحسنة ولم يعملها...	ج2، ص386.
من يدعو للظلمة بالتوبة	ج2، ص386.
من قال لا أعطيك حتى تطلب	ج2، ص383.
من كان معروفا بالإيمان والطلاق	ج3، ص58.
من تزوج امرأة زنا بها من قبل ولم يستبرئها ثم حنث بالطلاق	ج4، ص308.
من وقع بينه وبين زوجته شنآن فحلف لها بصيام سنة	ج4، ص308.
من حلف بصوم عام على ضيفه ليأكل	ج4، ص308.
شخصان حلف على شيء كل واحد يقول عكس الآخر	ج4، ص309.

المرأة خالعت زوجها ولها منه ولد	ج4، ص324.
رجل تكالم مع زوجته ثم طلبها أن ترد عليه	ج4، ص324.
رجل معروف بالإيمان بالطلاق والحنث والحرام	ج4، ص478.
عمن له دينار على رجل قرضا هل يقضي بعضه ويرد بعضه حتى يقبضه؟	ج5، ص81.
من أتى بدراهم ناقصة وهو لا يدري...	ج5، ص81.
من في ذمته قيراطان صغيرتان	ج5، ص82.
من استأجر أجيرا بقيراط فلم يحضر عنده القيراط	ج5، ص82.
هل يجوز البيع والشراء ممن لا يزكي	ج5، ص87.
من لا ولاية له على اليتيم يبيع عليه ماله لغير حاجة.	ج5، ص87.
من ابتاع عدة جزر وقبضها إلا واحدة	ج5، ص87.
بيع طوبة التين بجنس آخر من الطعام	ج5، ص87.
بيع الملح بالطعام	ج5، ص88.
الشراء للضرورة ممن معروف بالغصب	ج5، ص88.
شراء الموزونات جزافا	ج5، ص88.
مسألة في الميراث	ج5، ص89.
معاوضة قمح بدنانير	ج5، ص89.
بيع اللفت والبصل في أحواضه	ج5، ص90.
هز المكيال في الكيل	ج5، ص90.
هل يقضي درهم كبير عن قيراطين أو صغيرين	ج6، ص43.
ما للشيوخ في التزام المشهور في الفتاوى والأحكام	ج6، ص327.
قسمة الخضروات بالتحري	ج8، ص129.
ما على الخماس من الخدمة	ج8، ص154.
هل يمنع من أراد إحداث رحى بقرب أخرى قديمة	ج9، ص22.
عوائد فقراء الزوايا	ج11، ص34.
تقلد فتوى المشهور الذي عليه القضاء والفتيا من السلف والخلف	ج12، ص25.

فتاوي الوغليسي ضمن المعيار المعرب للونشريسي

الموضوع الفقهي	الجزء	العدد
الطهارة، الجنائز، النفقة، الزكاة، الصوم.	الأول	14
الصيد والذبائح والأشربة والضحايا، الايمان والنذور.	الثاني	11
النكاح	الثالث	01
نوازل الخلع والنفقات والحضانة والرجعة، نوازل الإيلاء والظهار واللعان، نوازل التمليك والطلاق والعدة والاستبراء.	الرابع	07
نوازل المعاوضات والبيوع.	الخامس	15
نوازل المعاوضات والبيوع، آداب الفتيا.	السادس	02
مسائل المياه والمرافق، نوازل الشفعة والقسمة، الإجارات والأكرية.	الثامن	02
نوازل الضرر والبنيان.	التاسع	01
نوازل الجامع	الحادي عشر	01
نوازل الجامع	الثاني عشر	01
المجموع		55

جدول يمثل مواضيع النوازل الفقهية التي أفتى فيها الوغليسي حسب ما تضمنه كل جزء من كتاب المعيار المعرب للونشريسي.

من الملاحظ التي تم تسجيلها بعد قراءة متأنية وفاحصة لمعطيات الجدولين المدونين أعلاه، ما نورده في النقاط البحثية الموالية:

- تم إحصاء خمسة وخمسون (55) موضع لفتوى الفقيه الوغليسي ضمن النوازل التي احتفظ بها لنا مصنف المعيار المعرب للونشريسي.

- توزعت فتاوي الوغليسي في متون تسعة (09) أجزاء من أصل ثلاثة عشر (13) جزءا من مدونة المعيار المعرب للونشريسي.

– تباين عدد حضور فتاوى الفقيه الوغليسي من جزء لآخر ضمن مدونة المعيار المعرب؛ بحسب طبيعة المواضيع الفقهية النازلة التي تضمنتها، من جهة، وبحسب كذلك طبيعة تنظيمها وترتيبها من طرف صاحب المدونة من ناحية ثانية. فقد سجلنا أعلى معدلات الحضور في الجزئين الخامس الذي تضمن خمسة عشر (15) سؤالا فقهيا أجاب عنه ويحتل هذا الجزء المرتبة الأولى؛ وتتضمن مادته مواضيع فقهية متنوعة تتركز بشكل أساس حول: المعاوضات والبيوع، بما يعني أنّ المعاملات الاقتصادية أخذت حصة الأسد من الأسئلة التي طرحت على الوغليسي، ولعل للظرفية التي كانت المنطقة تعيشها زمنئذ مكانة في ترجمة ذلك العدد من المسائل النازلة أي في ظل سيادة مظاهر الاضطراب والتعدي والغصب.

ويليه الجزء الأول من حيث الترتيب والذي تضمن أربعة عشرة (14) سؤالا فقهيا أجاب عنه الوغليسي ضمن مادته؛ والتي تتمحور بشكل رئيس حول مسائل الطهارة والصوم والزكاة والنفقة. وذلك بديهي بحكم أنّها من المسائل الأساسية في حياة الفرد التعبدية باعتبارها من أركان الاسلام وفي طليعة ذلك ركن الصلاة، ثم الصوم فالزكاة...

ويأتي عدد الأسئلة الفقهية المطروحة على الوغليسي في الجزء الثاني من مدونة المعيار في المرتبة الثالثة بإحدى عشرة (11) نازلة أو سؤالا مطروحا عليه؛ تتمحور مواضيعها حول: مسائل الصيد والذبائح والأشربة والضحايا، والايمان والنذور. وهي كذلك من المواضيع التي تطرح نفسها بقوة في الوسط المجتمعي، وتسترعي عناية مركزة من أهل الفقه لتطبيب أوجاعها الفقهية وصياغة أجوبة شافية لها.

أمّا المرتبة الرابعة من حيث عدد الأسئلة المطروحة على الفقيه البجائي الوغليسي، فقد احتلها الجزء الرابع بسبعة أسئلة طُرحت عليه في مسائل الأم والطفل كالخلع والحضانة. وهي كذلك من المواضيع الفقهية التي تطرح نفسها في الوسط المجتمعي باعتبارها من القضايا المهمة في حياة الأسرية–الاجتماعية.

في حين تضمنت الأجزاء المتبقية –التي أحصينا عدد الأسئلة التي طُرحت على الفقيه الوغليسي في متنها– أعداد متقاربة ومحدودة جدا مقارنة بما سبق تسجيله في غيرها؛ فالجزء الثالث تضمن سؤالا واحدا طرح عليه ويتمحور حول نوازل النكاح. وهو الموضوع الذي كنا نأمل أن نقف على عدد معتبر من الأسئلة المطروحة عليه في مجاله؛ باعتباره ذي صلة مباشرة باشكالية بحثنا الرئيسة، والمتعلقة بقضايا المرأة وأخلاقها ومدى التزامها بقواعد الشرع ونظامه، وطبيعة المخالفات الشرعية التي وقت فيها. كما تضمن الجزء السادس سؤالين فقط تم طرحهما على الوغليسي في مجال البيوع والمعاوضات. واحتوى الجزء التاسع على

سؤال فريد أجاب عنه الوغليسي في مسائل الضرر والبنيان. وتضمن كل من الجزئين الحادي عشر والثاني عشرة مسألة وحيدة أجاب عنها الوغليسي في كل واحد منهما، تتمحور حول مسائل نوازل الجامع.

– لم نقف على أي فتوى للوغليسي في ثلاثة أجزاء من المدونة الفقهية الخاضعة للمعاينة، وهم: الجزء السابع، والعاشر، والثالث عشر. وبإقصاء الجزء الأخير من هذه المدونة (الجزء 13) باعتباره يتضمن فهارس الكتاب فحسب وليس مادة فقهية نوازلية، فإنّ عدم حضور الفتوى الوغليسية في الجزئين السابع والعاشر، لا يعني غيابها بشكل تام بحكم طبيعة المواضيع الفقهية التي تناولها كل منهما (ج7، ج10) والتي تتقاطع بشكل كبير من المواضيع التي تناولتها بعض الأجزاء الأخرى من المدونة الفقهية الخاضعة للفحص والمعاينة، فالجزء السابع تضمن: نوازل الأحباس، وهي تنضوي ضمن المواضيع الفقهية التي احتفظت بها مادة الأجزاء: الخامس، والسادس، والثامن والتاسع؛ التي تناولت نوازل: المعاوضات والبيوع، والمياه والمرافق، والشفعة والقسمة، والإجارات والأكرية. وتضمن الجزء العاشر: نوازل الأقضية والشهادات والدعاوى والإيمان، ونوازل الوكالات والإقرار والمديان؛ وتتقاطع مادته من حيث المضمون أو طبيعة المواضيع التي تناولتها أجزاء أخرى من مدونة المعيار الفقهية النوازلية، على غرار الجزء التاسع، والحادي عشر والثاني عشر؛ والتي عالجت مواضيع تتعلق بنوازل: الضرر والبنيان، نوازل الجامع بشكل عام. وهو ما يجعلنا نعتقد بأنّ حضور الفتوى الوغليسية كان معتبرا في متن هذه المدونة الفقهية التي جمع مادتها الونشريسي. بالإضافة إلى الإجابات عن المسائل النازلة المطروحة على فقهاء بجاية والتي لم يحدّد من جمعها على من طُرِحت ولم يفصح عن هوية الفقيه الذي تكفل بالإجابة عنها، واكتفى بالقول: "سئل فقهاء بجاية"، يحتمل أن يكون الفقيه الوغليسي منهم.

– تعدّدت المواضيع الفقهية التي أدلى الفقيه الوغليسي بدوله فيها والمسائل النازلة التي بثّ فيها وأفتى على المذهب المالكي فيها؛ وذلك كما هو موضح في الجدولين المدونين أعلاه.

– لم تتضمن مجموع الفتاوى الوغليسية التي احتفظ بها كتاب المعيار للونشريسي أي فتوى تتعلق بتجاوزات النساء ومخالفاتهم الشرعية النازلة، ونعتقد بأنّ هذا مردّه إلى تركيزه على المسائل الفقهية أكثر من معالجة المشاكل الاجتماعية كمسألة سفور النساء.

3. 4 الانتاج العلمي (التأليف):

لا تمنحنا المظان المصدرية التي أرّخت لحياة هذه الشخصية العلمية الفرصة الكافية للإطلاع على الرصيد التأليفي الذي أنتجه الوغليسي والمصنفات التي أنتجها والآثار المعرفية التي خلفها، في الوقت الذي تشير بإسهاب إلى كونه خصص جلّ اهتمامه للتدريس والتربية والتعليم. ففي حدود ما هو متاح تشير أغلب المصادر التي تضمنت تراجم لسيرة حياته إلى مصنف واحد ويتيم ألّفه الوغليسي، فهل يمكن أن يكون ذلك المصنف الذي يحوي عصارة فكر الوغليسي وثقافته الدينية والتصوفية ونظرته للحياة التعبدية والمنهج الذي يسلكه الفرد لبلوغ الآخرة بأمن وسلامية دينية: روحية وعقلية، هو المنتوج التأليفي الوحيد الذي جاد به؟ أم له مصنفات غيره لكنها لم تصلنا أو لم يحفظها النص التدويني الذي انتبه لسيرته وتوقف عند جوانب من حياته؟.

وفي ظل الفقر المصدري الذي يقطع دابر الشك ويمنحنا اليقين للفصل في هذه المشكلة البحثية، نشير إلى أنّ المادة التاريخية تؤكد بأنّ التدريس هو النشاط العلمي الذي غلب على الوغليسي[1]، وأخذ حظا وافرا من وقته في سبيل تبليغ العلوم والمعارف لغيره، وإعدادهم التربوي والسلوكي والأخلاقي. أمّا بشأن ما يمكن أن نتوقف عنده في منحى آثاره العلمية، فقد أشار صاحب كتاب "شجرة النور الزكية" بأنّ للوغليسي مؤلفات كثيرة منها: "**الأحكام الفقهية تسمى الوغليسية ومقدمة في الفقه وفتاوى مشهورة**"[2]، وكتاب: "رسالة في الاسلام والإيمان"[3].

وفي غياب نصوص مصدرية توسع لنا مديات الوقوف على مادة منتجوته التصنيفي الموسوم برسالة في الاسلام والإيمان، نعتقد أنّه يحسن بنا التوقف ولو بشكل مقتضب- عند مادة مصنف الأحكام الفقهية الذي يشي بعصارة فكر الوغليسي وجهوده في مجال فقه العبادات. وهو ما نبيّنه في العرض التالي:

- كتاب "الأحكام الفقهية على مذهب مالك": ويُعرف هذا المصنَّف كذلك "**بالوغليسية**"، و"**بالمقدمة الفقهية**"[4]. وهو في أصله مقدمة في فقه العبادات وفق المذهب المالكي. ومادته كما يراه الباحث "بونابي"

[1]- انظر ما تفضلت به في هذا السياق، الباحثة: بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص130.

[2]- انظر: الوغليسي عبد الرحمن بن أحمد البجائي الجزائري، المقدمة الوغليسية على مذهب السادة المالكية، تحقيق، أمل محمد نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط1، 1428هـ/2007م، ص10 وما بعدها. راجع كذلك: ابن مخلوف، المرجع السابق، ص342.

[3]- بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص132.

[4]- ابن مخلوف، المرجع السابق، ص342.

جاءت بسيطة موجهة للمبتدئين من الطلبة، و"**تعكس منهجه في الفقه والتصوف**"[1]. ومن خصائص أسلوبه التصنيفي لمادة هذا الكتاب؛ أنّه تفادى قدر ما يستطيع الخوض في المسائل الفقهية الخلافية، ونزع بشكل أساس إلى الجمع والمؤانسة بين مسائل فقه العبادات وأسرار أحكامها ومكنونها[2]، مخاطبا العقل والقلب في نفس الآن، في مسعى رسم ملامح الطريق الروحي لبلوغ كمال الانسان الخُلقي، تناغما والرؤية التصوفية التي ينتهجها، والتي تقوم بشكل أساس -كما أشار إليه أحد الباحثين- على المجاهدة دون تعطيل دور العقل أو إهمال لمكانته؛ باعتباره وسيلة للتأمل تعين القلب على إدراك الحقائق الإلهية والاهتداء إليها. مع التأكيد على أنّ بلوغ تلك الحقائق من وظائف القلب وليس للعقل سلطة إلى ذلك أو قدرة على بلوغه بل إنّ ذلك من اختصاص القلب دون غيره[3].

أمّا في منحى الجهد النصحي والتقويمي والتوجيهي الذي يمكن أن يُستلهم من مادة هذا الكتاب، فقد يرتسم من خلال ما أفصحت عنه مقدمة الكتاب على غرار مظاهر التنبيه للمعاصي التي يقع في مستنقعها الفرد البجائي أو أي فرد مسلم، والتحذير من مخاطر الانحلال الخلقي كسفور النساء، ودعواته الصريحة والملحاحة لتجنبها وتفاديها؛ من حيث تذكيره بوعيد الله وما أعدّه لهذا الصنف من المخالفين من عقاب دنيوي ويوم الحساب، ونصائحه بأهمية التزام حدود الشرع ومجاهدة النفس في سبيل الفوز بالآخرة[4]، ومن خلال كذلك بسط سبل الخلاص من تلك التجاوزات وتلافيها في حياته وقيادته إلى الأدوية الكفيلة بمعالجتها والوسائط التطبيبية الشرعية الكفيلة بذلك[5]. ولتقوية أركان هذا الطرح، يجدر بنا الاستشهاد بنصوص من متن الوغليسية، ومن ذلك قوله في تفصيله لفرائض الصلاة ضمن فرض ستر العورة: "**والمرأة كلها عورة إلا الوجه والكفين؛ فيجب عليها أن تستر جميع جسدها**"[6]. وقوله كذلك في نفس المنحى: "**فلا يجوز للمرأة أن يراها أحد إلا ذوو المحارم خاصة –وهم الذين لا يجوز لهم نكاحها– فيجوز**

[1]- بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص83. للمزيد من التفصيل ينظر: بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص132-134.

[2]- ابن مخلوف، المرجع السابق، ص342. راجع أيضا:بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص132.

[3]- بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص83.

[4]- ابن مخلوف، المرجع السابق، ص342.

[5]- بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، ص83. انظر كذلك: بلميهوب حفيظة، المرجع السابق، ص132.

[6]- الوغليسي، المقدمة الوغليسية، ص47.

أن يروا رأسها وأطرافها ويخلوا بها، ولا يجوز ذلك للأجنبي، وأما الوجه فليس بعورة إلا أنّها إن كانت جميلة الصورة فلا يجوز أن ترى"[1]. أو ما تفضل به تحت عنوان: "حفظ الجوارح"، كحفظ القلب من كافة المعاصي، والحرص من صاحبه على أن يطرح منه الدنيا ويرغب في الآخرة، وحفظ البصر فيقول في هذا الموضع: **"والمرأة كلها عورة إلا وجهها وكفيها هذا للأجنبي وأما ذوو المحارم فيجوز لهم من المنحر إلى الرأس وأطراف اليدين والرجلين، وأما غير ذلك من الصدر والأكتاف ونحوها فلا يجوز. ولا يجوز للشاب الأجنبي النظر إلى الوجه خوف الفتنة إلا أن تكون عجوزا أو سوداء ونحوها"**[2]. بما يؤكد حرصه على صيانة جسم المرأة وحماية عرضها وشفها وكيانها الجسمي والإنساني.

وعلى هذا الأساس فإنّ مادة مصنَّف الوغليسية كمنظومة فقهية في منحى فقه العبادات، يعكس مشروعا تربويا وثقافيا وفكريا يهدف من بين ما يهدف إليه، هو الإصلاح العقدي والاجتماعي، والتقويم التربوي، والتطبيب الأخلاقي، وتمثل المرأة أحد أولوياته على اعتبار أهمية مكانتها في النظام الاجتماعي، ومحوريتها في المسيرة التربوية والإصلاحية كأمّ أو زوجة أو بنت أو أخت...

الخاتمة:

من خلال ما تمّ تقديمه يمكن إيجاز أهم ما توصل إليه الباحث في النقاط الموالية:

– مثلت جهود الوغليسي في مجال التدريس والفتوى والإمامة والتأليف مدرسة تربوية تعليمية تخرّج منها علماء فطائل، وأنجبت خيرة من طلاب العلم ومريديه، ونشاطا اصلاحيا أسهم في تقويم سلوكات الأفراد وتقويم اعوجاجها الأخلاقي.

– عدّ كتاب الأحكام الفقهية المعروف بالوغليسية مصدرا فقهيا أساسيا لمطالعة فتاويه الفقهية، والوقوف على طبيعة المسائل التي استرعت اهتمامه الإفتائي.

– يقوم المنهج الإفتائي الذي سلكه الوغليسي على مجموعة من الدعائم كما يتجلى ذلك في متون إنتاجه التأليفي وفتاويه المجموعة في متون المدونة الفقهية النوازلية، ومنها: اعتماد القول المشهور.

– جمع الوغليسي ضمن مجهوده الاصلاحي التربوي التعليمي بين اصلاح البدن والروح؛ إصلاحا يقوم على التكوين العلمي والمعرفي والديني السليم المستمد من وحي القرآن الكريم والسنة النبوية، من خلال

[1]- المصدر نفسه، ص47.

[2]- المصدر نفسه، ص55، 59-60.

إعداد جيل واعٍ، وقادر على مواصلة مسيرة الدعوة والإصلاح والتربية والتكوين وهم الذين تخرجوا على يديه وكانوا خير خلف لخير سلف.

– كان اصلاح شأن المرأة، والاهتمام بقضاياها الخلقية ومسائلها السلوكية ضمن اهتمامات هذا الفقيه الاصلاحية والتربوية والتعليمية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1. ابن الطواح عبد الواحد محمد (ت675هـ/1276م)، سبك المقال لفك العقال، تحقيق ودراسة، محمد مسعود جبران، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، .2008

2. ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة، محمد بن شقرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، .1990

3. ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، جمع وتصحيح وتعليق، هنري بيرس، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية رودوسي قدور بن مراد التركي، الجزائر.

4. ابن صعد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الفضل الأنصاري التلمساني (ت901هـ/ 1496م)، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مراجعة وتحقيق يحي بوعزيز، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، 2002.

5. ابن منظور، لسان العرب المحيط، مج22، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ص2025.

6. البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، المغرب.

7. التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم، عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج2، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ليبيا، 1398هـ/ 1989م.

8. الثعالبي عبد الرحمن، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد... ويليها رحلة عبد الرحمن الثعالبي، تحيق محمد شايب شريف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ/2005م.

9. العبدري محمد البلنسي، الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 1428هـ/2007م.

10. العقباني التلمساني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح، علي الشنوفي، نشره المعهد العلمي الفرنسي، دمشق، 1967.

11. الغبريني أبو العباس أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979.

12. الوغليسي عبد الرحمن بن أحمد البجائي الجزائري، المقدمة الوغليسية على مذهب السادة المالكية، تحقيق، أمل محمد نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط1، 1428هـ/2007م.

13. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد التلمساني (ت 914هـ/ 1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إخراج، محمد حجي وآخرون، ج12، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1981م.

ثانيا: المراجع:

14. الحفناوي محمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيير فونطانة، الجزائر،1324هـ/ 1906م.

15. الفيومي أحمد بن محمد، المصباح المنير معجم عربي-عربي، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1987.

16. ابن مخلوف محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه، عبد المجيد خيالي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.

17. بكاي عبد المالك، الحياة الريفية بالمغرب الأوسط 7-10هـ/13-16م، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر، 2014.

18. بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، مجلة حوليات التراث، العدد07، جامعة مستغانم، الجزائر، 2007.

19. بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر، خلال القرنين 6و7 الهجريين/ 12و13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004.

20. بلميهوب حفيظة، من أعلام حاضرة بجاية في القرن الثامن الهجري الإمام أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي (ت786هـ/1384م، مجلة الثقافة الاسلامية، العدد15، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1438هـ/2017م.

21. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1400هـ/ 1980م.